JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

العدد الخامس عشر

(٣٥٧)–(٣٨٥)

الغربة والهامش في شعر هاشم شفيق دراسة في ضوء الإنساق الثقافية

أ.د. يوسف محمد جابر إسكندر ، م.م فردوس حسن علي
جامعة بغداد / كلية الآداب
yousif@coart.uobaghdad.eu.iq ، Frdosalhsny@gmail.com

المستخلص :

تميزت الحقبة الشعرية السبعينية في العراق باختيار الشعراء منافيهم بأنفسهم، وكان الخروج من الوطن الحل الوحيد، نتيجة لتصارع القوى السياسية وما ولدته من أفعال دموية تمثلت بالقتل والقمع، لذلك نشعر بأن شعر الاغتراب، الذي ولدته المنافي سواء كانت إجبارية أو اختيارية يشوبها الإجبار في أغلب الاحيان، يقل فيه السخط على المنفى، فكتبت مئات القصائد التي تتغنى بالمنفى والغربة، حملت طابعاً وطعماً جديداً، نتيجة تغير الظروف المسببة لها، واختلاف بلدان المنفى، و تنوعها بين البلدان العربية والغربية، بما تحمل هذه البلدان من أيدولوجيات وسياسات مختلفة، فالشعور يختلف من بلد الى آخر، وبين بيئة وآخرى، وبين وقت وآخر، فهذه العوامل المجتمعة قد حملت روح التغيير في الشعر المغترب، والقت بظلالها على شاعرية الشاعر من حيث يعلم أولا يعلم.

الكلمات المفتاحية : الغربة ، النقد الثقافي، شعر هاشم شفيق .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

Expatriation and Marginalization in Hashim Shafiq's Poetry: A Study of Cultural Modes

Dr. Yousif M. Jaber Iskander , Asst. Lec. Firdous Hasan Ali
University of Baghdad / College of Arts
yousif@coart.uobaghdad.eu.iq , Frdosalhsny@gmail.com

Abstract :

In the ١٩٧٠s, under the newly-emerging Baathist Iraq, several Iraqi poets chose to exit the country having been forced to move to other countries. The then-Baathist regime's dictatorial measures and bloody actions forced many writers, poets, and literary figures to move to other countries. As those writers and figures settled in other countries, they started to create their own modes of expression, most of which are ideologically and politically motivated themes and contexts, not to mention their home-connected intentions. With those poets staying in several different Arab and non-Arab countries, they found themselves surrounded by new cultural modes and contexts. The local circumstances in these exile countries imposed new directions on those poets. This study, therefore, investigates this home-exile connection from an Iraqi poet who has once experienced these circumstances. The aim is to examine how the exile-home connection has overshadowed that poet's poetry.

Keywords: Expatriation ,Cross-cultural modes , Hashim Shafiq's Poetry .

المقدمة :

استحضار الهامش في شعر هاشم شفيق

المركز والهامش " مِنْ أكثر المصطلحات إثارة للجدل في خطاب ما بعد الكولونيالية، فهما مصطلحان شائكان يدخلان في مجالات مختلفة منها: السياسية، والاجتماعية، والثقافية،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

والاقتصادية، والدينية، والأدبية، وغيرها، وقد أزاد تداولهما في الدراسات الثقافية والنقد الثقافي الذي تبناهما بالفعل وعمل من خلالهما دراسات عديدة ساهمت في شيوعهما وأستعمالهما في الحقول الدراسية الأخرى، وهذا زاد من تداخلهما، ولكن تميز عملهما الأساسي في تفكيك السياقات الثقافية والبنى الثقافية وأنساقها، وكذلك تحليل الخطاب السُلطوي والمؤسساتي وتقويضه، واصبحت الثقافة هي مادتهما الأساسية"(كوش : ٢٠٠٧: ١١٩) فالهامش هو كل ما ينتج خارج المؤسسة المركزية، سواء أكانت أجتماعية، سياسية، اقتصادية، أم أكاديمية، فهو مستبعد ممنوع مقموع ويفقد الحق في المشاركة في الحياة المركزية، وذلك لأنه يمارس عليه الأقصاء الفكري والنفسي، والمركز هو كل ما ينتج داخل المؤسسة المهيمنة في المجتمع.

وهاشم شفيق عاش هذا الصراع النفسي فقد تمزق نتاجه بين جذب المركز والحنين إليه، وقمع الهامش والاضطرار على التعايش معه، فبعد أن كان خطاب الشاعر موجهاً للمركز الفكري والنفسي والعاطفي المتمثل بالوطن، كحديثه عن نزعاته الخاصة وهمومه التي تؤرقه، والتي شكلت مصدر إلهامه لتحفيز ملكته الشعرية، انتقل إلى الهامش المتمثل بالمنفى، لأنه يعاني من القمع والتهميش والغربة فلقد أجبر هو و "شطر حيوي من الشعر العراقي على الذهاب إلى المنفى في نهاية السبعينات هذه الحقيقة دامغة في التاريخ الأدبي للعراق الحديث ومما لاشك فيه أن هذا الشعر المهاجر قد ازدهر في تلك المنافي مقيماً عبر النصوص مسافة جمالية واضحة النمط معهودة والحرية في القول غير المعهودة بين استلهام الإيديولوجيا واستيهام العالم الرحب"
(لعيبي:٢٠٠٤: ١٤٥)، فكان بذلك مصدر إلهام جديد لقريحته الشعرية الغزيرة، لتوليد صور بزوغ هامشه المنفي، واعتلائه سلم الأحداث الكبرى.

ومن البديهي أن يحمل هذا الشعر أنساقه أبعادا تميزه عن باقي الأغراض، فـ"قصاص الذكريات لا يكف عن سرد التماعات الألوان والحوادث في طفولة الشاعر البعيدة وفي مكانه الاول المأهول بالظلال والألوان متقربا من روح البراءة والأيام الطيبة التي افتقدها في حله وترحاله وهذا النوع من العودة يعزز لديه لغة المشاعر لا الافكار " (ينظر المحسن:٢٠٠٠: ١٣-١٤).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ولقد عانى هاشم شفيق من الغربيتين الروحية والجغرافية، في دمشق وبيروت وباريس ولندن، وتنقل في مدة قصيرة في بلدان كثيرة، فهو يمثل الشاب الصادق المشاعر، الذي ترك مكان مولده ومرتع طفولته وصباه وشبابه وعش ذكرياته وعلاقاته، ليهجرها لبلدان المنافي الهجينة الصاخبة المتفردة بالشخصيات المعقدة والعلائق الاجتماعية الغريبة .

فيصدم بصخرة صلبة معقدة التكوين، ذات طلاسم و ألغاز يصعب حلها وتفسيرها وهضم إفرازاتها الحضارية والثقافية، لذا نراه يصاب بالإحباط نتيجة فشله في التعايش البيئي والاندماج مع الواقع الغربي بالذات فيصاب بالتشاؤم والاكتئاب.

يمكننا ملاحظة استحضار الهامش في أغلب قصائد هاشم شفيق، لأنها مثلت " أنموذجاً يشير الى قدرة الشعر على تطوير أدواته خارج حدود حاضنته الاجتماعية الاولى فأغلب النصوص الناجحة التي كتبها، كانت تعتمد على ما اكتسبه من تجارب ومعارف في الغربة ولم يكن بمقدور موهبته أن تعمل على إنضاج تلك التجارب وتمثلها شعرياً لولا تطور إحساسه بفكرة الوطن المستقر كحالة ميتافيزيقية، أصبحت توجه مداره طوال تجاربه الشعرية اللاحقة سواء في العراق أو خارجه" (المحسن:٢٠٠٠: ١١-١٢) فالهامش المنفي يكتسب صفات التميز في الضمير الجمعي المنفي "فالجماعة أينما كانت، تبحث عن الإنسان الذي تتجاوز قدراته السلوكية المتصلة بقيمة سامية معينة، وقدراته الفكرية التي تتصل بقيمة سامية أيضاً، وفي الوقت نفسه تكون هذه القدرات ملبية لاحتياجات هذه الجماعة وليست فائضاً عليها " (ملحم:٢٠١٠: ٣٤)

هذا ما أكسب شعره المهمش صفة التميز " فكانت لعبة الظهور والخفاء في فكرة الوجود المكاني سواء كان على هيئة وطن أو أوطان بديلة تشكل أحد أهم مصادر إلهامه لأن فكرة المنفى بصفته عقابا سياسيا أو موقفاً احتجاجياً، أضحت لديه في المحصلة حالة إنطولوجية يعيها الشاعر ويعمل على توظيفها كصيغة استعارية في مسرى شغله " (المحسن:٢٠٠٠ : ١١-١٢)

مع الاعتراف الكامل بالصراع النفسي بين الهامش والمركز فحين "يتم جمع كيانات ذات ثقافات مختلفة داخل حقل كلية دولة، مملكة ، إمبراطورية يشترط تواجدها وتطورها داخله فإن الصراع في

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

هذه الوضعية يكون أكثر شمولاً أي الصراع الثقافي، حيث التقابل يقوم بين كل ضد كل ، ثقافة / مجتمع مقابل ثقافة / مجتمع آخر ، ثابت ومتحول ضد ثابت ومتحول آخر وتتحول الثوابت، محددات الثقافة إلى أسلحة ايدلوجية في مواجهة الآخر" (إسماعيل: ٢٤)

يولد هذا الصراع الخفي غير المعلن، حالة نفسية لدى الشاعر تنعكس على شعره فيكون "أحد أهم روافد بقاء شعره خارج اعتبارات الصيغ المنبرية في كتابة القصيدة، إن صح التعبير أنه غير مشغول بفكرة لمن يقدم نفسه ومن جمهوره وهل هم كثرة أم قلة ؟ فهو قدّم قصائد تجريبية لا قيمة لها وهي مجرد انطباعات توحي بضعفه ولكنه لا يخاف من هذا الضعف لأن بنيان نصه الناجح يقوم على هذه العاطفة أصلا، فهو غير معني بالمعمار الفخم في نصه ولا بعوامل القوة والعظمة المتعارف عليها في الشعر العربي تلك التي تخلب لب السامع بشمولية الحقائق السامية والكشوفات الجلية إنه يبحث عن العارض والجزئي لكي يوظفه في مسرى شعره " (المحسن:٢٠٠٠ : ١١-١٢)، ونستطيع القول إن الشاعر عاش صراع التمزق بين مركزية الوطن وهامش المنفى، فحاول خلق مرتكزاً في الهامش له، ليتحول الصراع إلى صراع نفسي داخله لولادة نوع من الاستقرار المكاني لينعكس على استقراره العاطفي والشعري، وهذه المحاولات تتجلى من خلال ما يأتي :

١- استحضار الذات في الهامش

لقد كان أنموذج الهامشي المقصي اجتماعياً رافداً مهما التفت إليه الشاعر وحاول إخراجه من دائرة التهميش القسري إلى الكينونة والوجود الإنساني، فهو ما يزال يضج بوهج الحياة ويعيد إلينا بعضاً من ذاته المشروخة بجرح المنفى الذي نقله قسراً لدائرة التهميش، وقد جسد هذا الشعور في قصيدته "شاهده لرجل يحتضر باريس" (شفيق:٢٠٠٥: ١: ٢٥٥) التي كتبها في ١٩٧٩/١/٢٠م ، وهذا التاريخ يشكل نقطة تحول جوهرية في حياة الشاعر الشعرية، فنلاحظ حجم الإحباط والتشاؤم والشعور بالوحدة نتيجة الغربتين الروحية والجغرافية، وفي عتبة النص كان الاحتضار هو الوجه الآخر للغربة لديه فيقولُ:

كهّرٍ هو الليلُ يلحسُ وجهي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ويلعق صابونةَ القدمين
ويغسلني بالسّوادْ
هو الليل يعتقني في الخرابِ
ويتركني ها هنا
كتلةً من رمادْ
غداً سيمرُّ المشاةُ
بأحذية برتقالية
ويمرّ الغواةُ
بسنبكة من حديد
وسوف يقولون هذا جزاء الخطاةْ
وترمى بجمر
وتدحى بكْور
وتلقى بجبَّ
ويبلى القميص عليك
وتهْرى عصاكَ
وتُدْمى يداكَ
وتنفى إلى جبل من لهبْ
فلا من نداء يجيبْ
عداكَ هنا
وعدا حجر مستريبْ
سيسهرُ عندك ليلٌ معتَّقْ
بثوب ممزّقْ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

يؤاكلك الزّاد

والزاد جمراً يكونْ

على طبق من سيكونْ

وخلفكَ نسرٌ مسنٌ

يحط على كتفيك

ليشبعَ من وجنتيكَ

نستطيع أن نؤرخ القصيدة في بداية خروج الشاعر من بلده إلى باريس، كان شاباً حديث العهد بالشعر والاغتراب، تدفق منه سيل عارم من الصور الشعرية المتلاحقة، التي صورت حجم ضياعه وآلمه معاً، ، فضجيج الغربة عارم في القصيدة، جسد أصعب أيام الغربة، وهي أول أيام الرحيل، لبلد يختلف بكل شيء طقوسه وعاداته وحتى طعم الهواء، فيتجلى لدية التصاقه بهويته واعتزازه بذكرياته، فكان نضج التجربة الشعرية في القصيدة واضح، والانتقال بالمتن الشعري موفق، إذ بدت على القصيدة ملامح الغربة واضحة، ولكن بنقمة عكسية تعكس سخط الشاعر على بلده، وفي قصيدة الغريب (شفيق٢٠٠٥: ١: ٧٦)، يوضح استحضار الذات قائلاً:

لم يزلْ هائماً

في ضبابِ الشوارعِ

معطفهُ الغجريُّ علتهُ الحشائشُ

هذا الندى

يتدلَّى نديفاً على حاجبيهِ

فتبتلُّ سيجارتهُ

وأصابعهُ

ثم تندى خطاه

لم يزلْ ساهماً في دوار المقاهي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ومنتبذاً ركنه في أقاصي المرايا

يدخِّنُ في وَلَه

ويرتّبُ عزلتهُ باحتراسٍ

ويبحث عن موطنٍ

في رداء الإله

هاهو الآنَ مستوحدٌ

يذرعُ الطرقاتِ الغريبة

حتى تغيم رؤاه ...

تتمحور القصيدة حول مأساة ذات الشاعر في المنفى، وما أفرزته من تناقضات، وتأثيرات مربكة، فقد عاش وقائع الألم والحسرة على ذاته الضائعة، ليبحث عن أخرى مقصيه داخل نفسه الجريحة، واصفاً ما فعلته به بلدان الغربة من إقصاء وتهميش، وهو يتجرع ألم الانتباذ والعزلة في مكامنه النفسية أولاً، ومواطئ الغربة ثانياً، فهو يذرع الشوارع متأملاً غداً أفضل، باحثاً عن مرتكز جديد، وبلغة رمزية وإحالات تأويلية وإسقاطات شفافة يلتفت الشاعر إلى مأساته ويصنع منها رموزاً وشخوصاً شعرية، تحمل تحولات لبزوغ الرؤية الشعرية التي اعتنقها، وفي قصيدة تحولات كنغر (شفيق٢٠٠٥: ١: ٣٧)، أفصح عن مكنون ذاته بقوله :

سأتحول الى كنغر

وسأضع في كيسي البطني

زوجتي وقصائدي

وأغادر

اختار الشاعر الكنغر، بما يحمله من دلالات شكلية، ليبرز دلالة عدم الاستقرار الذي سكن روحه، فالذات له باتت مقصيه لا يجد لها موضعاً سوى داخل روحه المنكسرة، فبفعل تناقضات المنفى وقسوته تشكلت ضبابية الرؤيا لديه "فالمكان المستقر اضحى لديه ذا أبعاد متعددة ومن بين

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

بعده الأوضح عدم قدرته على الثبات في ذات الشاعر المرتحلة واقعياً وشعرياً في الأزمنة والأمكنة، أن في أعماقه ما يمكن أن نسميه عقدة الغجري في علاقته مع المحيط وهذه الصفة التي تتبدى في روح قصيدته المتشاكلة مع المكان، تدلنا على الاضطراب الكبير في علاقته مع المستقر على هذا يظهر انعدام التوازن في شخصية هذا الشاعر القلق على هيئة ارتباك روحي تشي به قصيدته" (المحسن :٢٠٠٠: ١١-١٢)، لتنقلنا لصنع ذات أخرى محاولاً بذلك أن يستقر في الهامش من خلال سياق ساخر ناتج عن استعصاء الحلول، وفي قصيدة هجرة(شفيق٢٠٠٥: ١: ٣٠)، تبدو الذات المنكسرة اكثر وضوحاً بقوله:

نأت بي المقاديرُ
في هجرةٍ
ترتديني كألبسة ثمّ تخلعني
عند باصٍ
فطائرةٍ
ورصيف عبدته المُدى
إنَّ هذا المساء ثقيلُ
نأت بي المقاديرُ في لوعةٍ
تتلبّسني خاتماً
ثمّ تفركني باتجاه الهواجسِ
حيث المعادُ طويلُ
فهذا المساء اهترى
في يديَّ
وذاك الصباحُ عليلُ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

بدت على الشاعر ملامح الغربة القسرية بقوله (نأت بي المقاديرُ) فيظهر جلياً أن الشاعر يبحث عن مسوغ قصدي ليبرر هذا الاغتراب، ليجعله عنصراً مهيمناً عليه، فالمقادير هي قدر لا يمكن تغييره، فكان قدره الضياع بين أرصفة البلدان والمحطات، ترتديه كمعطف وتخلخله كخاتم، لا يملك سوى الانقياد مع ضغوطاتها، فيبرز جلياً وبوضوح تهشم الذات، وكأنما الشاعر يبحث عن تبرير قصدي، بجعل القدر هو المهيمن في الحدث الشعري، ويبرز بصفته الذاتية على هيئة المغلوب على الصعيدين الشكلي والدلالي، لا يستطيع تغيير الواقع المفروض ولا يملك سوى الهواجس، وفي قصيدة حلم(شفيق ٢٠٠٥ : ١: ٣٥)، تترجم الذات لديه بقوله :

أقوم باقتياد الهواء

إلى الغرف

والجبال إلى المقاهي

والطاعون إلى إناء الطاغية

تطفو على أبياته الشعرية حركة دينامية تملأ الحدث الشعري وتغذيه، وهو ما يدلّ على استخدام الفعل (أقوم) الذي توكأ على استشراف طال انتظارها والمشهد كله يمثل ولادة حلم جديد بعد مخاض عسير، والذي يفاجئنا به الشاعر على غير العادة، فيزيح الدلالة الأولى باقتياد الهواء التي يرقبها المتلقي تلك المتمركزة إذ يوحي المشهد بدلالة جديدة، و هو فعل اقتياد الطاعون الى إناء الطاغية , وهذه علامة لها دلالة اجتماعية ونفسية وسياسية، تتمثل بتحميل السلطة المتمثلة بالطاغية زمام ضياع المركز وتهميش الذات ويضع الحلول بقتل تمركز الطاغية من أجل ولادة مركز جديد من رحم الهامش.

٢-استحضار شخوص الهامش

إن استحضار الشخصية المتواجدة في المنفى، بوصفها مهمشة تمثل ذات الشاعر المقصية عن المركز، فهذه الشخصيات بما تحمله من دلالات، كان وليدة الصراعات الخفية بين المركز والهامش، فالمركز الغائب مادياً والحاضر في خيال الشاعر إحساساً، يلقي بظلاله على ذاته، ليولد رفضاً

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

نسقياً لشخوص الهامش، ففي قصيدة النوتي(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٢٠١) وهو "ملاح يوجُه سفينه أو يعمل فيها ، بحار ملاح في البحر" يحمل الدلالات ويؤدي دور البطولة والريادة ويتصدر المشهد في النص حين تقرأ المقاطع الآتية :

آه لقد غادرنا النوتيُّ ، وما عدنا نسمعُ موسيقى

تسفحنا بينَ الأدراج وفوقَ السلَّم ، كانت

في تلك الأيام تمسّدنا ، أو تنقُلُناَ من

تحت الافريز ، وَتُدْخلُنا للغابةِ ، تُجّلسُنا مثلَ

شجيرات الدردار ، هدوءٌ يكسو أُذنينا ، ونعاسٌ

يَشْملُنا بالفتنة ، حتى صار الغرنوقُ وحيوانُ القُندسِ

يأكلُ منا ، ماعدنا نسمعُ غيرَ نواح غبار

يعزفُ في الأغصان ، لقدْ غادرنا النوتيُّ وسلاميّاتُ

يديه اهترأتْ ، فهنا لحنٌ مشروخٌ ، وطيورٌ

ذابلةٌ في الباحة، هذا قيثارٌ محطومٌ والأوتارُ

مُخَلَّعةٌ ، آه لقد شاخَ النوتيُّ وغادرنا

آه لاشيء هنا

غيرُ عزيفِ الرّيح على الأشجارْ

فالتحسر بتكرار لفظة (آه) يدل على انكسار الذات أمام قسوة الهامش، وشخصية النوتي هنا دلالة رمزية على ضياع المركز واستحالة العودة له، فالنوتي يتجلى دوره في التمرد على الواقع الذي يعيشه في الهامش، ولكن بصورة عكسية من خلال خرق وتهديم الواقع بظاهرة استرجاع الماضي المركزي، ومقارنته للهامش المرفوض، فالقصيدة اتخذت من الشخصية المهمشة مجالاً لتصوير حياة المهمشين المنسيين والذين تم أقصاؤهم بفعل المركز، فهؤلاء لا يستطيعون أن يتفاعلوا مع الهامش، ولا العودة إلى المركز، وهذا ما جعلهم يقبلون بحياة جديدة بعيدة كل البعد عن حياتهم المركزية، التي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لا يملكون سوى التحسر عليها وفي قصيدة نشيد (شفيق٢٠٠٥: ١: ٣٧٠)يصف الشاعر نفسه قائلاً:

أهرّبُ صوتي
بحنجرةٍ لصديقْ
سوف يحملُه
من طريق لطريقْ
فلي نبرةٌ فيه
ثمَّ كلامٌ مبطّنْ
وثمَّتَ أغنيةٌ
نحتتْ من دمٍ وحريقْ
أهرّب صوتي
بحنجرة لرفيقْ
سوف يحمله عبر كلّ الحدودِ
وإنْ فتّشوه هناك
رجالُ التحرّي
فهل يجدونَ
بحنجرةٍ لصديقْ
هاشماً بنْ شفيقْ

فالشخصية الشعرية هنا تبرهن أن الهامش لا يستطيع الاستقلال عن مركزه، حتى وهو يعاني من غطرسته وقسوته وإقصائه، ويتجلى ذلك من خلال تركيز الأضواء على الصديق ليحمل داخل حنجرته الشاعر بكل أشعاره وأحلامه وأمنياته، ليمرره من رجال التحري ليعود به إلى مركزه، ولو على شكل صوت بحنجرته، هنا الدلالة تتسع لتبرز حجم المعاناة فالحنين المتراكم والألم النفسي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المتضخم يجبران الشاعر على أن ينتقل بالتخفي ليعود لوطنه، ولو على شكل صوت، والمقصود بالصوت هنا القصائد بما تحيله لنا من احتيال الهامش المنفي على المركز بغية الالتصاق فيه والتكامل معه، وهنا رفض نسقي للغربة بما تحمله من تمزق وأوجاع نفسية قبل ان تكون جسدية، وفي قصيدة ورقة الملك الضليل(شفيق٢٠٠٥: ١: ٣٧٥)، جسد الشخصية بقوله :

لمْ تبلغ النجمَ اليماني
متعبٌ هذا الرحيلُ عليكَ
فالطرقُ مقّيدة بالضباع والجنْ،
والموئلُ تسكنُ فيه الرياحُ
ضللْتَ أيها الملكُ الجليلُ
وضلَّتْ في خطاكَ الرؤى
وخانتك التعازيمُ
لبلوغ المنتأى

فتبرز الشخصية الضائعة المتمثلة بالملك الضليل، المبعد عن وطنه الضائع بين البلدان، المجبر على خوض طرق مليئة بالضباع والجن، فالحيرة نفسها ظاهرة عليه، يتحسر على آماله الضائعة وعلى خيانة الرؤى، فلم يبلغ ما يصبو إليه بهامش يضمه ويحميه من هذا الضياع، فكل محاولات التجانس قد ضاعت سدى فيتعبه الرحيل بين هوامش المنافي ليبحث عن مركزه الضائع بلا جدوى وفي قصيدة تغيير(شفيق٢٠٠٥: ٢: ٤٢٤) تبرز روح المعايشة أكثر أملاً بقوله :

استبدلتُ يدي
وجهي وفمي،
للنهر رميتُ تواريخي،
أعطيتُ إلى الحجر العاري اسمي،
غيّرتُ حياتي ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

للشمس أعرتُ فؤادي ،

في الأشجارِ أفرغتُ دمي

ونثرتُ من الشباك خطايَ وأزمنتي ،

ثُمَّةَ حدَّقتُ مليّاً في المرآة ،

فألفيتُ بأني صرتُ غريبَ الوجه

غريبَ يدي ولساني ،

فخرجتُ إلى الشارعِ

وعلى عنقي شالُ زجاج يلتفُّ

في الشارع ناداني صوتٌ

هاشمُ يا هاشمُ قفْ

فامتزاج الشاعر بالآخر ومحاولة تغيير نفسه ليجعل منها شيئاً يشبه شخصية الهامش في قلب حياته ليرمي ماضيه، ويقص جذوره ويفرغ دمه، فلم يملك تعريفاً مقنعاً لشخصه الجديد الغريب اليد والملامح، فعرض مشاهده بفضاء مفتوح ليخلق تراجيديا منفية جديدة، ليعلن خسارته لرهان المنفى من جديد، فمع دلالة شال زجاج يلتف حول عنقه ليبرز حجم الاختناق، فلم تكن عملية التغيير سهلة البتة، فهي تقتطع من روحه ونفسه ما شاء الله من اقتطاع، ليعود لمرأته فيتحول وجهاً هارباً تضيع معالمه، فيدرك فجأة أنه غريب عن نفسه لا يعرفها، يتجرع ألم خسارته المتتالية، ليسترجعه صوت مجهول هاشم قف كفى تغيير ليعلن فشله في تكوين شخصية مركزية جديدة، وفي قصيدة ابتسامة العنكبوت(شفيق:٢٠٠٥: ٢: ٢٧٧) يقول :

إنها الشّمس الأجنبية تسقطُ باردةً في الحديقة ، يخرجُ جاريَ بمسوح السّيخ،

وهو يُخبّيءُ شَعْرَهُ الطويلَ تحت عمامة من خزّ، على عجل يُشَغل آلةَ

قصّ الحشائش، بأزيزها تطيرُ الحماماتُ الباركة فوق السطوح القرميدية،

وتظهر زواحف الحديقة : منامل سوداءُ دعاسيق ، حلازينُ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

جرادٌ ذهبيٌ، وحين يراني يحيّيني بلغة الأوردو.

هناك في زاوية الحديقة ومن داخلِ شبكته الخيطيَّة يبتسمُ العنكبوت

وبتجسيد شخصية الجار ورسم مظهرها الخارجي الغريب عن ثقافته المعهودة، بشعره الطويل وعمامة رأسه، ولغته الجديدة، تنحصر مستويات الاحساس بالآخر، التي تتضاعف مع وصفه الخارجي، ليجسد رفضه المضمر لذات الآخر، وليعبر مرة أخرى عن مستوى الفقدان، وألم الانسلاخ وكمية المرارة، ووجع المنفى، ليغزوه شعور الوحدة وأن نفيه النفسي أشد عليه لما يولده من وجع روحي، فابتسامة العنكبوت تدل على لعبة دلالية لكمية رفض شخوص المكان، وحجم التوتر الذي ينشحن برهبة الاغتراب، وبخوف من المجهول، والتباس لحظة لمس المنفى والتعايش معه، وقصيدة وحدتي(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤٠١)تترجم هذا الاحساس بشكل أكثر دقة فيقول :

لا أحداً يتمشَّى

في شرفة هذا المشفى

وحدي أرقبُ حشداً يستهدي

بخيوط الجينز

بأقلام البورنو

بالعضل المفتول لسلفتر ستالوني

بمفاتن إيمانويل

وطائرة الكوكاكولا

فلتأت إلى شعوبُ الهمبرغر والآيس كريم

وأقوامُ الزّلفى

.....

.....

لا أحداً

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

يتمشى في شرفة هذا المشفى

وحدي أرقبُ أبياتاً لعراقيينْ

هي سجنٌ

هي كهفٌ

هي ثقب يكبر في المنفى

فيقدم تصويراً آخر لشخوص الهامش، مترجماً حجم وحدته المقصية نفسياً وجسدياً وشعورياً، ف(بخيوط الجينز/ بأقلام البورنو/ بالعضل المفتول لسلفستر ستالوني/ بمفاتن إيمانويل/ وطائرة الكوكاكولا/ فلتأت إلى شعوبُ الهمبرغر والآيس كريم/ وأقوامُ الزّلفى) يخلق حجم التباين الداخلي والخارجي، ويبرر عدم الاستجابة للاندماج، فالتباين تباين بالغ، يظهره من خلال الاكتناز الشعري ليبرر التوتر المشحون بالوحدة، فيختم قصيدته بالإشارة الى ما أنتجه الهامش من سجن وكهف وثقوب ظاهرها بيوت وباطنها هوامش أبدية منفية، لا تملك حق الرجوع أو الاعتراض، فتضيع بين تمركز وهمي وألم نفسي هامشي، ومن الجدير بالذكر تميز بعض القصائد المذكورة سابقاً بذكر الاسم الصريح للشاعر (هاشم بن شفيق) مرة ومرة أخرى(هاشم يا هاشم قف) وهذا يؤيد اعتزاز الشاعر بنفسه وهو يعيش واقعه المهمش مقابل طغيان شخوص المركز، ومحاولة منه على التقوقع داخل نفسه ليخلق تمركزاً آخر، ظاهره القوة وداخله العذاب .

٣-استحضار مكان الهامش

إن رؤية المكان من ثنائية المركز والهامش تختلف حسب مفهوم المكان وأبعاده، فيكون الوطن سابق دائماً بنفس الإنسان، بما يملكه من السبق والأصل، ويتحول المنفى مهما بلغ من الرقي والتطور إلى هامش نسقي مضمر، يظهر في قصائد الشعراء وبين أبياتهم ليشكل الوطن مركزاً يدور حوله الحنين، ويضحى المنفى هامشاً يلحق به الرفض والتنكيل، بحكم السبق والانتماء، ولكن الشاعر لا يستطيع أن يستغني عن الهامش بفعل احتياجه واضطراره الى العيش تحت وطأته لأنه يشكل الحل الأجباري لاستمرار الحياة، وبالوقت نفسه لا يستطيع إسكات ضجيج الحنين لوطنه الذي يعد مربعه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ومرتع أيام الصبا الذكريات، فيكّون الهامش والمركز بعداً تكاملياً لا يستغني الأول عن الثاني، ويعكسه في نفس الشاعر، وفي قصيدة قناعة(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤٠١) يبدع الشاعر في وصف واقعه، بأروع ما كتبه في تصوير ألم الغربة بقوله:

تشَّردتُ في أفق متربٍ
يتنامى التباغضُ فيه
ويعلو التحاسدُ
مثل ثريا البيوتْ
فرأيتُ النقاةَ
يموتونَ من كمد
ويعيشون في ظلّة
زادها قمحةٌ لا تقوتْ
وأما الدعاةُ الذين استراحوا
على غيضة السَّنديانِ
فقبلتهمْ درهَمٌ
ولكلَّ رغادَتُهُ
ولكل لّذاتُهُ
قانعين بما ينسجُ العنكبوت
إذن سوف أبقى
ندىً ضائعاً في الوريقاتِ
في غيمة لا تشيخُ
وفي أفق لن يموتْ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

فبين المنفى والغياب يحاول الشاعر أن يرسم شخصيته المنفية بهيكلة الواقع المتغير، لتكوين صورة أقرب إلى نفسه المنكسرة في الهامش المقصي المغيب، فالخطاب الشعري يسهم في توليد الدلالات وخلق الفضاءات النصية الجديدة عبر علاقات مرئية تمنح البناء الشعري أبعاداً أخرى، فمع امتزاج شكوى الشاعر من المغترب بما يحمله من تحاسد وتباغض يصلح للنفاق و يموت فيه نقي السريرة، يصف بشاعته وما يحمله روحياً ليعبر عن كمية اختناقه، ومعاناته فهو يصف المكان وقد ضاق باتساعه أن يحتويه وفي قصيدة الاضداد(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤١٩)، يمارس طقوس الغربة بوجع كبير حين يقول :

أقولُ
اتركوني وحيداً
أعالج نفسي بنفسي
وحيداً أُدرّبُ همّي على الطيران
وحيداً أتاجر بالبحرِ
ألتفُّ فوق جبال الصواري
وآكل عشب السواقي
وأشرب رمل المحار

وصف الغربة الروحية بأنها أقسى أنواع الاغتراب، لأنها تصنع داخل نفسك مركزاً تحاول التجاذب معه لتقبل الواقع المهمش، لهذا كان ضياع المركز أشبه ما يكون بضياعٍ روحي قبل أن يكون جغرافياً، عانى فيه من رفض الواقع ومحاولته مسايرته دون أن يفقد ما بقي من روحه، فالاختلاف الجذري بالمكان خلق رفضاً نفسياً له، ومحاولة استعادة مركزه الضائع، وفي قصيدة حقائب(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤١٦)، اشتد ألم الاغتراب المكاني بقوله:

الحقائب مختومةٌ بالغبار
ومكتظّةٌ بشؤون الرحيل

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

حقائبنا مَّرةً في الرصيفِ

وأخرى بطائرةٍ

قد نراها بمقطورة تتفكَّكُ

أو تتبعثرُ عند نقاط الحدود –

الحقائبُ مشدودةٌ للظهور

يحاصرها فندقٌ مهملٌ

وشوارعُ كالحةٌ

وسماءٌ مطيره

وفي آخر الليل

سوف نأوي إليها

ننام بطيّاتها كالملابس

مستنفرين على غير ما نبأ

لنداء السّفرْ

فتبعثر الشاعر بين المطارات وأرصفة البحار ومحطات القطارات، كل هذا حطم بداخله المركز المأمول، وهو يحاول أن يلملم شتاته المهمش ليرسو على بر يتكئ عليه بعد هذا الصراع، حاملاً حقائبه مثقلاً بالهموم متنقلاً بين محطات البلدان التي تجذبه، وتلقيه مبتغياً الخروج من الهامش، آملاً في صنع مركزاً آخر يحتويه، وفي قصيدة شمس الراعي(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٢٤٥) يقول:

من جزع يملأ أفكاري بصراخ وعويلٍ

هاجرتُ من الفوضى، نحو شموس

فيها نمشٌ بنيٌّ وسماءٌ من حبر ، تهبطُ

قربَ رعاة يرعون الأصوات على جبلٍ

قلتُ لهم .....

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

سأدحرج صوتي من فوق التلِّ إليكم

فخذوه إلى مرتفع حافي القدمين

وأعطوه إلى راعيةٌ تلبسهُ خلخالاً

ذا جرسٍ، وأعيدوه إليّ بريئاً كهديلٍ

يحبو فوق الساحل، كالنسر إذا التفتتْ

عيناي إليه أتاني في الليل وغطاني

بشموس الراعي

في محاولة آخرى يجد مركزاً بديلاً يولده قسراً من رحم الهامش، فهجرته الإجبارية كانت منوطة بإيجاد ما يحويه، وقد جاء النص بكثافة دلالية، فهو يميط اللثام عن وجهه المركز، ويؤول الهامش، للوقوف على وجوههِ المختلفة والكشف عن علاقاته الخفية التي يشد بعضها بعضاً، فيعقد مقارنة نصية بين مكان المركز والهامش، ليسعى خلف شمس الراعي عسى أن تمنحه مركزاً يخلف مركزه الضائع، فهجرته من الفوضى نحو الاستقرار بتتبع هاجس اللاعودة، متخيلاً أن النجاة بالهروب، وأن يخلق في الهامش مركزاً جديداً يضاهي ما تركه ويعوضه عما فقده من استقرار، أما قصيدة شمس المنفى (شفيق:٢٠٠٥: ١: ٢٤٩) صور فيها الهامش قائلاً:

وهبطتُ إلى شمس المنفى، مكتسياً

بالأوراد ، همو كانوا سبعةَ أشباح يتخفونَ

وراء الليل ، وحين رأوني،

أسدلتُ ستار المحنة فوق جبيني،

وخلعتُ نقابي، ورميتُ السيفَ

إلى الغيم ودرعي للأنهار، وعار كنتُ

أمام الأوغاد ، فجيَّشتُ لهم

كل كلام الأرض، استصرخت الأحجار

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

فجاءتْ راكضة نحوي، واستنهضت

البيداء فهبّت تحميني ، إذ إذاكَ

خضضتُ الأفلاك لتمطرهمْ ، بحجارٍ

من سجّيل ، وأمرتُ الأنهارَ

بأن تجرفهم في طوفانٍ أبديّ

فخرجتُ أنا من شمس المنفى مثل

زهور اللّوتس محمياً بالأشياء..

يعلن الشاعر هنا عن ولادة مركزه الجديد من شمس المنفى، التي هبط إليها مكتسياً بالأوراد، معلناً انتصاره على ذاته، بعد طول مخاض، ليودع أيام الفوضى ، ويسدل ستار المحنة، ويخلع نقابه ،ويرمي سيفه ودرعه، ثائراً أمام الأوغاد، يستصرخ كل ما هو راكد، ليبدد العتمة، ويعلن فجر نهاره الجديد، فالهامش لديه استحال مركزاً، مكتسياً بزهور اللوتس، وتخلص من وجع الغربة، آملاً أن يرى شمس الحرية من جديد. وفي قصيدة حفر في الجدار(شفيق٢٠٠٥: ١: ٢٧١)، يصور غربته بصورة موحشة بقوله:

أرسمُ صورة قطٍّ

ثم أكلمهُ

هل:

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

تعطيني هاتين العينين الغامضتينِ

وهذا المخلبَ

والذيل النائم كالأفعى؟

وأقولُ

أنلني قائمة لأسير بها

وأعرني صوتاً

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

لأموء به

وأموء

مواء يخدش وجه المنفى

الشاعر هنا حاول أكتشاف اشتغل على اكتشاف صورة شعرية جديدة جسد من خلالها حجم الغربة، وتظهر هامشيته بصيغة فنية واضحة، يحاول أن يجد لها تفسيراً، فرسم صورة القط على الجدار ومخاطبته وسؤاله، لا يدل إلا على خيبة الشاعر على التعايش مع منفاه المهمش فقط بل دلّ على رفضه النسقي له. وفي قصيدة جدار القصيدة(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٢٩٧)، يركز على مضمون آخر بقوله:

لم تسعني القصيدةْ

لم يسعني الهواءُ

المنازلُ شاحبةٌ كالرصيف ـ

المقاهي بها وحشةٌ واغترابٌ

فأني اتجاهي...؟

ودار السلام بعيده

إذن لم تسعني القصيدة؟

ولم ينّسعْ غير هذا السكونْ

فبي رغبةٌ للبكاء

وبي قلقٌ وارتباكٌ

ولي الآنَ

إعطاء رأسي لهذا الجنونْ

فالقصيدة هنا أداة لرسم مكان الهامش الممزق بألم الاغتراب، إذْ المنازل شاحبة والمقاهي موحشة، ويعقد الشاعر مقارنة بين أمكنة المركز و الهامش ليسحب القارئ، لفهم شيء واحد أن لا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

شيء يضاهي مركزية الوطن، وأنه يعاني الحزن والبكاء المستمر الذي يقوده تدريجياً للجنون، فهو الحل الوحيد لتقبل هذا الحزن و الخلاص من هذا التمزق المستمر، فنجد الشاعر قد ترجم مدى رفضه للهامش وتمسكه بالمركز مكاناً وشعوراً، أما قصيدة ملال(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٣٨٧) التي كتبها في ١٠/١٠/١٩٨٨نيقوسيا يقول فيها :

لنا في الراحتين ندىً
وصبرٌ مورقُ
مثل الظلالْ
لنا في الأرض جنّاتٌ
مُسنَّدةٌ بماء ساحرٍ وغلالْ
علام إذن
توشّينَ التعلُّلَ بالسكوتِ
وغزل هذا الصمت دوني
دائماً من دون بوح نابض بسؤالْ
هو البيتُ سياجٌ يحتويكِ
ويحتويني أو يحاصرنا بصحراءٍ
مُبطنة برمل واخزٍ
.....
.....
هيّا إذن
نمشي إلى السّور الغريب
ونطلقُ الرؤيا تجاه معابر أخرى
لعلَّ هناك يبرحنا الملالْ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

فالاختلاف بين الهامش والمركز، أفرز لنا ظاهرة جديدة وهي ولادة موضوع يطلق عليه الملال، وتأتي هذه التسمية لتتوج معاناة الشاعر، بصورة تستحق أن نفرد لها مساحة واسعة، فما بين المنفى المفروض على الشاعر والاغتراب، يولد لديه الملال من شعور الفقد وصراع الهوية، وهو يعلم أنه سقط في بئر اللاعودة فقوله (هيّا إذن نمشي إلى السّور الغريب / ونطلقُ الرؤيا تجاه معابر أخرى/ لعلَّ هناك يبرحنا الملالْ) فيصطدم بصورة متواصلة من المنافي والهوامش المتعددة على الرغم من جمالها وهدوئها وسكينتها، إلا أنها تقطع جذور الوطن والماضي والذكريات، فهو بلا جيوش ليحارب في معركة خاسرة من جديد معركة نفيه ومحاولته إقصاء نفسه والتعايش في مركز جديد. وفي قصيدة انتساب(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤٠٧)، التي نظمها في براغ ١٩٨٩/٧/٣ يقول :

عندما كان لي غرفةٌ
تحت موج البحار
انتميتُ إلى نسب الماء
حتى غدا الرملُ شعبي
وتلك المويجاتُ قوميَّتي
والحصا إخوتي
والحشائشُ بعضاً من الأهلِ والأصدقاءْ
فلذلك أمسيتُ عبداً
لكلِّ مسيلٍ ورقرقة
ولكل خرير به دفقٌ
يصطفيه هواء

يتناول الشاعر أزمة جديدة ، فيكون المنفى شكلاً من أشكال الوظيفة الإرسالية بما يتوافق مع قضية الشاعر، بمحاولته الانجذاب للمركز، وصنع ما يحتاجه في هامش الغربة، فيفشل من جديد، لأنه أصبح عبداً له وليس جزءاً منه، ويلخص هاشم أنه خضع خلال هذه الغربة لتحولات وتعديلات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

عدة، ليغادر مركزه حيث كان قاراً وثابتاً، إلى الهامش حيث الاقتلاع والغربة والتشرد، فيصوغ تجربته بتفاعله مع ثقافات آخري، مبحراً بعيداً عن مفهوم الهوية المغلقة من خلال طرحه (فلذلك أمسيتُ عبداً/ لكلِّ مسيلٍ ورقرقة / ولكل خرير به دفقٌ / يصطفيه هواء) وقصيدة المنزل الاول (شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤١٣) كتبها في (براغ ١٩٨٩/٧/١٩) جاء فيها :

ولكنني حين شبتُ هنا

لم أجدْ منزلي والبويب

ولم ألق شبّاكه الخشبيَّ

لكيما أظلَّ شريداً

بهذا العراء

وفي المقطع الشعري تذكير بالسياب والبصرة من خلال (بويب) والشباك الخشبي الخاص بوفيقة حبيبة السياب التي عبر عنها في شعره، وهنا يشبه الشاعر ألمه بمعاناة السياب ليرسم حجم الضياع الذي يشعر به، مؤكداً أن الهامش لم يؤويه، وعندما شاب بين أضلاعه لم يجد منزلاً ولا باباً ولا حتى شباك يضمه، فيظل شريداً فيه، وهذا حال الهامش المنفي، فبعد أن اعتقد أنه طاقة محررة لشعره وذاته وشخصه، ومعبره ليتجاوز الضيق الذي فرضه عليه المركز، ليدخل في عوالم جديدة باتت تتوافق مع رغبته في الجنوح لمركزه الجديد، ولكنه يصدم بأن المنفى هو هامش المنفيين بامتياز، ولا جدوى من مصارعته لنقش جذر جديد فيه، ويجسد ذلك بقصيدة التمثال(شفيق:٢٠٠٥: ١: ٤١٥) فبعد وصف التمثال، يقول:

ذاك التمثال الحجريَّ اللامعْ

هو بيتي المتواضعْ

حيث شكا ضياع البيت والهوية والمركز، فيختار تمثالاً حجرياً ليكون بيته المتواضع، ولاختيار التمثال بعد دلالي جديد، يغادر معناه اللغوي فيجعل منه دالاً على سجن جديد محكوم بقوانين ومؤطر بإطار الجمود والركون والتقوقع، ليجعل منه دالاً على معنى جديد للغربة والتشرد، فيصبح

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

تجربة مجازية لتصوير حجم الضيق والقهر في الهامش، وفي قصيدة ما وراء الجدار (شفيق:٢٠٠٥: ٢: ٢٩٩)، يؤكد رؤيته فيقول :

كلّ يوم أراني
بهذا الجدار
أقابلُهُ ويقابلني
غير أنَّ الذي بات يشغلني
كيف لي أنْ أرى
ماوراء الجدارْ؟

فمحاولة الشاعر أن يرى خلف الجدار جاءت لما يعانيه من وحدة وضيق وتشرد في الهامش، فصبره قارب على النفاذ تحت وطأة الغربة، ومحاولته تمثيل القوة والصرامة باتت مفضوحة، فلا أحد يقوى على محاربة الألم النفسي والتمزق الروحي، وتجاوزه ولو بالأقوال لا الافعال، وقصيدة المسافر (شفيق:٢٠٠٥: ٢: ٢٠٨) تؤكد ذلك بقوله:

يسّاقط الثلج على مظلّةٍ
في موقف باص
فمنذ ليلتين والجليدُ
يقطع الشوارع الغربية
فمنذ ليلتين والصقيعُ
يفرض البياضْ
لا حانةً هنا
ولا مقهىً صغيرٌ
للمسافر الذي ينتظرُ الباصَ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وظهور الثلج في قصائد هذا الديوان جزء من ظهور الأثر البيئي الأوربي لدى الشاعر، ومحاولة التعايش مع البيئة الجديدة، كما يدل على انبهار الشاعر بكل ما هو جديد مثل البحر والثلج، كلها ظواهر لا توجد في موطنه الاصلي، ودائماً ما يصف الشاعر مواقف الباصات ومحطات القطارات وموانئ السفن جزءاً من حس الارتحال الدائم لديه، وشعوره بعدم الاستقرار المكاني، ورغبته في الاستقرار، فجزء من رفض الرحيل وصف أدواته ومكاناته، وقصيدة شموئيل وقميص قرياقوس(شفيق:٢٠٠٥: ٢: ٢٧٩)، أبدع فيها الشاعر قائلاً:

لنبيذ مختمر في أعماق خواب صُنعت بأصابع مَلك آشوريّ
يأوي مغتمضَ الأهداب ليصحو. في مَهَلٍ يحسو قطرات عتقها
زمن خمريّ، زمنٌ محفورٌ في خوذة سنحاريبَ ومنثالٌ كالسائل
من لحية مردوخ، هو لا يجترعُ القهوةَ في ال"اولد نيفي"
بل يصغي لحكايات نائمة في الصخر، ويحلُمُ في روبرت دي نيرو،
يحلُم بمناسك هوليودْ.
حين تكون البذلةُ سوداء عليها ربطة عنق مستأجرة،
من دكّان في "كان" وحين يدوخُ الخمرُ وتسلوه الأطيافُ،
يفكّرُ باستدراج الماضي، ليبرطله بالأقداح المخمورة: قدحٌ تلو الآخر،
حتى يأتيه قميص من قرياقوس

فمحاولة الشاعر على تبرير تقبل الغربة، بذكر كم كبير من الشخوص التاريخية والاسطورية، إذ استطرد بوصفها ليبرز تجربته وحجم غربته، ومحاولة منه لتقبل الهامش المعاش والمفروض فيقول(وحين يدوخُ الخمرُ وتسلوه الأطيافُ، يفكّرُ باستدراج الماضي، ليبرطله بالأقداح المخمورة: قدحٌ تلو الآخر) فاستقطع تجربته، محاولاً تأسيس حد محايد بين المركز الضائع والهامش القاسي ليخلق بيئته المرجوه .

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

فيتغير مفهوم المركز والهامش حسب القيم الحضارية للشاعر، ولا نستطيع أن نتخيل المكان مستقلاً بذاته، فهو ينمو بتفاعل متزايد ليشكل الخطاب الشعري حاملاً ثنائية المركز والهامش، فمن خلال الصور والرمز تتزاوج الدلالات لتعكس وعي الشاعر، بتطبيق ثنائية المركز والهامش لينقسم المكان إلى مركزي يمثل الوطن، وهامش يرسم أبعاد المنفى، ويضيع الشاعر بين هذا وذاك.

نتائج البحث

نلحظ أن شاعرنا هاشم شفيق عاش حالة سيئة يُرثى لها ، فهو يعاني في وطنه من الاقصاء والاضطهاد والتهميش؛ وأعتقد أن الهروب هو الحل لكي ينجو بنفسه وفكره وشعره، ولكنه عندما هاجر برغبته إلى بلدان المنافي عانى تهميش وضياع من نوع آخر، وهذا ما انعكس على شعره فظلّ يحنّ لأيام استقراره في الوطن وعانى من صراع نفسي بين المركز والهامش ولكن بمنظور آخر.

فأصبح الوطن مركزًا نفسياً له ،بعد أن كان يعيش فيه مهمشاً غائباً؛ بسبب الظروف الصعبة التي ذكرناها، وظل الوطن متزعزعاً صعودًا ونزولًا بين (المركز والهامش) في نفسه وشعره، ويبدو أن الشاعر في هذا العصر أُصيب بشيء من الضعف النفسي فتأكله الحنين؛ بسبب النزاعات والصراعات التي تعرض لها في المنفى، فدارت بداخله معارك طاحنة بين ألم الغربة وضياع الوطن، وهو ما فسح المجال للإبداع الشعري باسترجاع الذكريات محاولاً سحب البساط من تحت أقدام الغربة. وظهر لدية من خلال استحضار الذات في الهامش لولادة ذات مركزية جديدة ولكنه فشل، وحاول استحضار شخوص الهامش ليتعايش معها لكنه ظل يحن لشخوص المركز، وكذلك أراد استحضار مكان الهامش ليتمركز فيه لكنه سقط في فخ الحنين لأمكنة مركزه الأول.

فالشعور الغربة لديه كبير وحاد وطبيعي وغير متكلف أو مصطنع، ذلك لأنه عاش الاغتراب الحقيقي وامتزج شعره مع شوارع وأرصفة البلدان فجاء منساباً بعيداً عن التكلف ولم يسقط في فخ التقليد، الذي سقط فيه أبناء جيله والجيل الذي سبقه الذين حاولوا مجارة القصيدة الغربية ولم يعيشوا ارهاصاتها ففشلوا ولم يستطيعوا المواصلة، فأحالت معظم النصوص الشعرية الهامشية على واقع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

متاخم لتجارب متباينة عاطفية ووطنية وسياسية رسمت منحى شعرياً في استراتيجية خطاب شعر الاغتراب لديه، وزيادة ثرية لشعريته وقد برز ذلك في عفوية اللغة وبساطة التنظير، مما أضفى عليها جمالية بما قدمته من انفعالات ذاتية .

المصادر

١-الاعمال الشعرية: هاشم شفيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان بيروت، الطبعة الاولى ،٢٠٠٥م

٢-التراث والشعر دراسة في تجليات البطل الشعبي : ابراهيم احمد ملحم، عالم الكتب الحديثة إربد الاردن الطبعة الاولى ٢٠١٠ م

٣-جدلية المركز والهامش قراءة جديدة في دفاتر الصراع في السودان: ابكر آدم إسماعيل، منظمة حقوق الانسان والتنمية ، الطبعة الثانية .

٤-الشاعر الغريب في المكان الغريب التجربة الشعرية في سبعينات العراق ، شاكر لعيبي، دار المدى ،لينان بيروت ،الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م

٥-مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش: ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت,لبنان الطبعة الاولى ،٢٠٠٧ م.

٦-النبرة الخافتة في الشعر العربي الحديث ، فاطمة المحسن، دار المدى للطباعة والنشر، لبنان بيروت، الطبعة الاولى ،٢٠٠٠م.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN ٢٣٠٦-٥٢٤٩
Online-ISSN ٢٧٩١-٣٢٧٩
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية